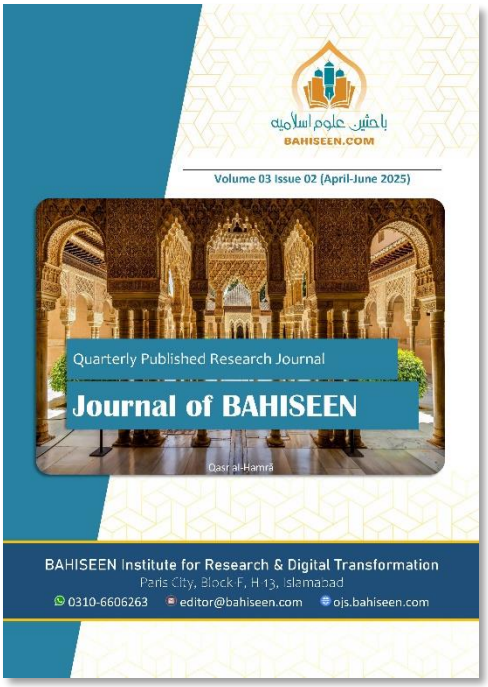

Title
Journal of BAHISEEN
Issue
Volume 03, Issue 04,
October-December 2025
ISSN
ISSN (Online): 2959-4758
ISSN (Print): 2959-474X
Frequency
Quarterly
Copyright ©
Year: 2025
Type: CC-BY-NC
Availability
Open Access
Website
ojs.bahiseen.com
Email
editor@bahiseen.com
Contact
+923106606263
Publisher
BAHISEEN Institute for
Research & Digital
Transformation, Islamabad

سورة طه في ضوء البلاغة العربية والأسلوبية الحديثة (دراسة نظرية تطبيقية)

Sūrat ṬāHā in the Light of Arabic Rhetoric and Modern Stylistics (A Theoretical and Applied Study)

د. شكيل أحمد العمري

محاضر بقسم اللغة العربية، جامعة العلامة إقبال المفتوحة – إسلام أباد

عمار أحمد

باحث في دكتوراه باللغة العربية، كلية اللغة العربية، الجامعة الإسلامية العالمية – إسلام أباد

Abstract

This study examines Sūrat ṬāHā as a Qur'anic model rich in rhetorical and stylistic phenomena, through an approach that integrates the achievements of the classical Arabic rhetorical tradition with the tools of modern stylistics. The study aims to uncover the distinctive stylistic features of the Qur'anic discourse in the sūrah, with particular emphasis on the story of Moses and Aaron (peace be upon them), highlighting the role of naẓm (textual arrangement), dialogue, repetition, and syntactic deviation in the production of meaning. Methodologically, the research adopts a descriptive–analytical approach and concludes that Arabic rhetoric and modern stylistics constitute two complementary frameworks for understanding the eloquent and inimitable nature of the Qur'anic discourse.

Keywords: Sūrah Ṭāhā; Arabic rhetoric; stylistics; Qur'anic discourse; the story of Moses and Aaron

ملخص

تتناول هذه الدراسة سورة طه بوصفها نموذجًا قرآنيًا ثريًا بالظواهر البلاغية والأسلوبية، من خلال مقاربة تجمع بين منجز البلاغة العربية التراثية وأدوات الأسلوبية الحديثة. وتهدف الدراسة إلى الكشف عن الخصائص الأسلوبية المميزة للخطاب القرآني في السورة، ولا سيما في قصة موسى وهارون عليهما السلام، مع إبراز دور النظم، والحوار، والتكرار، والعدول التركيبي في إنتاج الدلالة. وتعتمد الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، وتخلص إلى أن البلاغة العربية والأسلوبية الحديثة يشكّلان إطارين متكاملين لفهم الإعجاز البياني للقرآن الكريم.

الكلمات المفتاحية: سورة طه، البلاغة العربية، الأسلوبية، الخطاب القرآني، قصة موسى وهارون.

مقدمة

يحظى الخطاب القرآني بمكانة مركزية في الدرسين البلاغي واللغوي، لما يتسم به من ثراء تعبيري وتماسك بنيوي، جعله محورًا للدراسة والتحليل منذ بدايات الفكر العربي الإسلامي. ومع تطور المناهج اللسانية الحديثة، ولا سيما الأسلوبية، برزت الحاجة إلى إعادة قراءة النص القرآني قراءة علمية تجمع بين أصالة التراث وصرامة المنهج الحديث، دون الإخلال بخصوصية النص وقدسيته[1].

وتُعد سورة طه من السور المكية التي تتجلى فيها البلاغة القرآنية بأوضح صورها، من خلال بنائها القصصي، وكثافة الحوار، وتنوع الأساليب الإنشائية والخبرية، مما يجعلها ميدانًا مناسبًا للدراسة النظرية التطبيقية في ضوء البلاغة العربية والأسلوبية الحديثة.

المطلب الأول: الإطار النظري للبلاغة العربية والأسلوبية الحديثة

أولًا: البلاغة العربية ومفهوم النظم

تأسست البلاغة العربية على مبدأ أساس هو أن جمال الكلام وبلاغته لا يتحققان بالألفاظ مفردة، بل بطريقة تأليفها وترتيبها في السياق. وقد بلغ هذا التصور ذروته في نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني، الذي ربط المعنى بالتركيب، وجعل العلاقات النحوية أساس الدلالة البلاغية(2).

ويمثل هذا التصور أساسًا نظريًا متينًا لأي قراءة أسلوبية حديثة، لما يتضمنه من وعي بالعلاقة بين الشكل والمضمون.

ثانيًا: الأسلوبية الحديثة وحدود الإفادة منها

تُعرَّف الأسلوبية بأنها منهج يدرس الخصائص التعبيرية للنص من خلال تحليل مستوياته اللغوية المختلفة. وقد نشأت في أحضان اللسانيات البنيوية، ثم تطورت لتشمل أبعادًا تداولية ونصية(3).

وتكمن أهمية الأسلوبية في قدرتها على تقديم أدوات تحليل دقيقة، يمكن توظيفها في دراسة النص القرآني، شريطة مراعاة خصوصيته بوصفه نصًا متعاليًا على الإبداع البشري.

المطلب الثاني: سورة طه – السياق العام والبنية الخطابية

سورة طه سورة مكية، يغلب عليها الطابع القصصي والدعوي، وتهدف إلى تثبيت العقيدة، وتسلية النبي ﷺ، وبيان سنن الدعوة في مواجهة الطغيان. وتتمحور السورة حول قصة موسى عليه السلام، مع إبراز دور هارون عليه السلام شريكًا في الرسالة.

وتتسم البنية الخطابية للسورة بالتدرج من التهيئة العقدية، إلى عرض القصة، ثم استخلاص العبرة، وهو بناء ينسجم مع المقام الدعوي العام للسورة(4).

المطلب الثالث: الخصائص البلاغية في سورة طه

أولًا: أسلوب النداء ومقام الاصطفاء

يتكرر أسلوب النداء في سورة طه، ولا سيما في مشاهد التكليف، مثل قوله تعالى: ﴿يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [القصص: 30].

ويؤدي النداء هنا وظيفة بلاغية تتجاوز مجرد الاستدعاء إلى بناء مقام الاصطفاء، وتهيئة المخاطَب نفسيًا لتلقي الأمر الإلهي، مع اعتماد مؤكدات لغوية تعزز اليقين(5)

ثانيًا: التقديم والتأخير والعدول التركيبي

من أبرز مظاهر البلاغة في السورة العدول عن الترتيب المألوف، كما في قوله تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا﴾ [طه: 20].

حيث يسهم التقديم في تخصيص الخطاب، وإبراز خطورة المقام، وهو ما يتسق مع مقاصد الدعوة القائمة على الحكمة واللين(6).

المطلب الرابع: الخصائص الأسلوبية في سورة طه

أولًا: البنية الحوارية وتعدد الأصوات

تتميز سورة طه بكثافة الحوار، سواء بين موسى وربه، أو بين موسى وهارون، أو بينهما وبين فرعون. ويُعد الحوار آلية أسلوبية فعالة في تحريك السرد، وبناء الدلالة، وتجسيد الصراع بين الحق والباطل(7).

ثانيًا: التكرار ووظيفته الإيقاعية والدلالية

يتجلى التكرار في السورة بصيغ متنوعة، لا بوصفه حشوًا، بل بوصفه عنصرًا بنائيًا يسهم في تثبيت المعنى، وإحداث إيقاع خاص يخدم المقام الوعظي والدعوي(8).

المطلب الخامس: التطبيق الأسلوبي على قصة موسى وهارون عليهما السلام

أولًا: الثنائية النبوية وبناء المشاركة الخطابية

تُبرز سورة طه العلاقة التكاملية بين موسى وهارون، من خلال العطف، وضمير التثنية، والخطاب المشترك، وهو ما يعكس وحدة الرسالة وتكامل الأدوار الدعوية(9).

ثانيًا: القول اللين واستراتيجية الخطاب الدعوي

يمثل الأمر الإلهي بالقول اللين نموذجًا لبلاغة الخطاب القرآني، حيث تتضافر البنية اللغوية والمقام التداولي لتحقيق غاية الإقناع دون صدام مباشر، وهو ما تؤكده القراءة الأسلوبية الحديثة للخطاب(10).

المطلب السادس: العدول الأسلوبي في سورة طه وأبعاده الدلالية

أولًا: مفهوم العدول في البلاغة العربية والأسلوبية

يُعد العدول من المفاهيم المركزية في البلاغة العربية، ويقصد به الخروج عن الأصل المألوف في التعبير إلى صيغة أخرى، لتحقيق غاية دلالية أو جمالية. وقد ربط عبد القاهر الجرجاني العدول بالنظم، مؤكدًا أن البلاغة لا تتحقق إلا حين يُختار التركيب الأنسب للسياق، ولو خالف المألوف النحوي أو التركيبي(11).

ويتقاطع هذا المفهوم مع الأسلوبية الحديثة، التي ترى في العدول مظهرًا من مظاهر الانزياح الأسلوبي (Deviation)، أي خرق النسق اللغوي المتوقع لإحداث أثر دلالي خاص(12).

ثانيًا: العدول في سورة طه

يتجلى العدول الأسلوبي في سورة طه في صور متعددة، منها العدول في الصيغة، والرتبة، والضمير. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى﴾ [طه: 17].

فالاستفهام هنا ليس حقيقيًا، وإنما هو عدول عن الإخبار إلى الاستفهام، غايته التمهيد النفسي والمعرفي للمعجزة. ويكشف التحليل الأسلوبي أن هذا العدول يُهيئ المتلقي للحدث القادم، ويُدخل عنصر التشويق في السرد القرآني(13).

المطلب السابع: الإيقاع الصوتي وأثره في التماسك الأسلوبي بسورة طه

أولًا: الإيقاع في الدرس البلاغي والأسلوبي

لم يكن الإيقاع غائبًا عن البلاغة العربية، وإن لم يُصَغْ في إطار نظري مستقل كما في الدراسات الحديثة. فقد تنبه البلاغيون إلى أثر الجرس، والفواصل، والتناسب الصوتي في تقوية المعنى.

أما الأسلوبية الحديثة، فتنظر إلى الإيقاع بوصفه عنصرًا بنيويًا يسهم في تماسك النص، لا مجرد زينة صوتية.

ثانيًا: الإيقاع في سورة طه

تتميز سورة طه بفواصل قصيرة، وإيقاع هادئ يتناسب مع طبيعتها المكية الدعوية، مثل: ﴿مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾ ﴿إِلَّا تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَى﴾ [طه: ٢-3].

ويُلاحظ التقارب الصوتي بين الفواصل، مما يحقق انسجامًا إيقاعيًا يُعين على تثبيت المعنى في الذاكرة السمعية. ويؤكد التحليل الأسلوبي أن هذا الإيقاع يخدم الوظيفة التأثيرية للنص القرآني(14).

المطلب الثامن: البعد التداولي ومراعاة المقام في سورة طه

أولًا: المقام في البلاغة العربية

مراعاة المقام أصل راسخ في البلاغة العربية، ويتجلى في مقولة: «لكل مقام مقال». وقد أدرك البلاغيون أن اختلاف المخاطَبين يقتضي اختلاف الأساليب، وهو ما يشكل أساسًا لما تُسميه التداولية الحديثة بالسياق (Context).

ثانيًا: مراعاة المقام في قصة موسى وهارون

في سورة طه، يختلف الخطاب باختلاف المخاطَب:

– خطاب لموسى عليه السلام يتسم بالتطمين والتكليف،

– وخطاب لفرعون يتسم بالحكمة واللين،

– وخطاب لبني إسرائيل يتسم بالتذكير والإنذار.

ويكشف التحليل الأسلوبي أن هذا التنوع المقامي يؤدي إلى تنوع أسلوبي دقيق، دون إخلال بوحدة النص[15].

المطلب التاسع: التكرار السياقي ووحدة الرسالة في سورة طه

أولًا: التكرار بين البلاغة والأسلوبية

ينظر البلاغيون إلى التكرار بوصفه وسيلة للتوكيد، بينما تنظر الأسلوبية الحديثة إليه بوصفه عنصرًا بنائيًا يسهم في تحقيق التماسك النصي.

ثانيًا: التكرار في قصة موسى

يتكرر ذكر رسالة موسى، ومواجهة فرعون، بصيغ متعددة داخل السورة، وهو تكرار سياقي لا لفظي، يُبرز في كل مرة جانبًا دلاليًا جديدًا. ويؤكد هذا التكرار وحدة الرسالة القرآنية، وتنوع طرائق عرضها[16].

الخاتمة

خلصت الدراسة إلى أن سورة طه تمثل نموذجًا بيانيًا متكاملًا، تتضافر فيه البلاغة العربية والأسلوبية الحديثة للكشف عن جماليات الخطاب القرآني. كما أثبتت أن المنهج الأسلوبي، حين يُوظَّف بضوابط علمية، يُسهم في تعميق فهم النص القرآني، دون تعارض مع منجز البلاغة التراثية.

النتائج

1. تُظهر سورة طه تماسكًا بلاغيًا وأسلوبيا نادرًا في البناء الخطابي.
2. يتكامل النظم البلاغي مع الأدوات الأسلوبية في إنتاج الدلالة.
3. تُعد البنية الحوارية عنصرًا مركزيًا في الخطاب القرآني بالسورة.
4. يثبت التطبيق الأسلوبي فاعليته في دراسة القصص القرآني.
5. أسهم العدول الأسلوبي في سورة طه في تعميق البعد الدلالي للنص.
6. أدى الإيقاع الصوتي دورًا جوهريًا في تحقيق التماسك الأسلوبي للسورة.
7. أظهر التحليل التداولي دقة مراعاة المقام في الخطاب القرآني.
8. أكد التكرار السياقي وحدة الرسالة مع تنوع الأسلوب.

التوصيات

1. تعميم المنهج البلاغي الأسلوبي في الدراسات القرآنية المعاصرة.
2. تشجيع الدراسات التطبيقية على السور القرآنية ذات الطابع القصصي.
3. الإفادة من الأسلوبية الحديثة في إبراز الإعجاز البياني للقرآن الكريم.
4. توسيع الدراسات الأسلوبية الصوتية في السور المكية.
5. الإفادة من التداولية في تحليل الخطاب القرآني الدعوي.
6. اعتماد مفهوم العدول الأسلوبي أداةً مركزية في الدراسات القرآنية المعاصرة.

الهوامش

(1) صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص (القاهرة: عالم الكتب، 1992)، 68.

(2) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق محمود شاكر (القاهرة: مكتبة الخانجي، 1984)، 45.

(3)Ferdinand de Saussure, Course in General Linguistic (New York: McGraw-Hill, 1966) ،14؛ Charles Bally, Traité de stylistique française (Paris: Klincksieck, 1951) ،9؛ Roman Jakobson, "Linguistics and Poetics," 356.

(4) محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن (بيروت: دار الفكر، د.ت)، 118/16.

(5) جار الله الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل (بيروت: دار المعرفة، د.ت)، 402/3.

(6) الجرجاني، دلائل الإعجاز، 101.

(7) 7أبو السعود العمادي، إرشاد العقل السليم (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت)، 109/4.

(8) حمادي صمود، التفكير البلاغي عند العرب (تونس: دار محمد علي، 2006)، 214.

(9) فاضل السامرائي، التعبير القرآني (عمّان: دار عمار، 2006)، 59.

(10) صلاح فضل، علم الأسلوب: مبادئه وإجراءاته (القاهرة: دار الشروق، 1998)، 149.

(11) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق محمود شاكر (القاهرة: مكتبة الخانجي، 1984)، 121.

(12)Geoffrey Leech, Style in Fiction (London: Longman, 1981), 38.

(13) جار الله الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل (بيروت: دار المعرفة، د.ت)، 391/3.

(14) حمادي صمود، التفكير البلاغي عند العرب (تونس: دار محمد علي، 2006)، 227.

(15) أبو السعود العمادي، إرشاد العقل السليم (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت)، 134/4.

(16) صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص (القاهرة: عالم الكتب، 1992)، 92.

قائمة المراجع

1. أبو السعود العمادي. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم. بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت.
2. الجرجاني، عبد القاهر. دلائل الإعجاز. تحقيق محمود محمد شاكر. القاهرة: مكتبة الخانجي، 1984.
3. الزمخشري، جار الله. الكشاف عن حقائق التنزيل. بيروت: دار المعرفة، د.ت.
4. السامرائي، فاضل. التعبير القرآني. عمّان: دار عمّار، 2006.
5. الطبري، محمد بن جرير. جامع البيان عن تأويل آي القرآن. بيروت: دار الفكر، د.ت.

6. الضائع، محمد صالح. الأسلوبية الصوتية. القاهرة: دار غريب، 2002.
7. فضل، صلاح. بلاغة الخطاب وعلم النص. القاهرة: عالم الكتب، 1992.
8. فضل، صلاح. علم الأسلوب: مبادئه وإجراءاته. القاهرة: دار الشروق، 1998.
9. صمود، حمادي. التفكير البلاغي عند العرب. تونس: دار محمد علي، 2006.
10. المسدي، عبد السلام. الأسلوب والأسلوبية. تونس: الدار التونسية للنشر، 1982.
11. المسدي، عبد السلام. اللسانيات وأسسها المعرفية. تونس: دار سراس، 1986.

المراجع الأجنبية

1. Bally, Charles. Traité de stylistique française. Paris: Klincksieck, 1951.
2. Culler, Jonathan. Structuralist Poetics. London: Routledge, 1975.
3. Genette, Gérard. Figures of Literary Discourse. New York: Columbia University Press, 1982.
4. Jakobson, Roman. “Linguistics and Poetics.” In Style in Language, edited by Thomas A. Sebeok, 350–377. Cambridge, MA: MIT Press, 1960.
5. Leech, Geoffrey N. Style in Fiction. London: Longman, 1981.
6. McEnery, Tony, and Andrew Wilson. Corpus Linguistics. Edinburgh: Edinburgh University Press, 2001.
7. Saussure, Ferdinand de. Course in General Linguistics. Translated by Wade Baskin. New York: McGraw-Hill, 1966.
8. Trudgill, Peter. Sociolinguistics: An Introduction to Language and Society. 4th ed. London: Penguin, 2000.
9. Juola, Patrick. Authorship Attribution. Boston: Now Publishers, 2008.